البطاقة الثالثة: الموقف من ابن خلدون

بعد عرضنا لكلا الموقفين هل يمكن القول أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع الإنساني؟ في وسعنا قول ذلك ولكن مع أخذ الاحتياطات الابستمولوجية لهكذا طرح ، أن موقفنا ليس نابعا من حماسة مبالغة فيها لما قدمه ابن خلدون كما يفعل البعض .

إن ما يدفعنا إلى هذا الموقف منظورنا النسبوي للعلم، إن لكل حقبة تاريخية تصورها لما هو العلم ، و عبد الرحمان ابن خلدون تصور علما جديدا و لكن بمقتضيات عصره، و ما هو علم بالنسبة لنا قد يفقد صفته تلك بالنسبة للعصور التي في حال تغيرت شروط العلم بالنسبة لها ، و هذا ما حدث حتى داخل علم الاجتماع منذ ظهوره في القرن التاسع عشر ، لقد أصبحت أعمال الرواد الأوائل والتي كانت تعبر علمية في ذلك الوقت اقل علمية بالنسبة لنـــــا.

لقد كان البراديغم الأرسطي على عيوبه هو المتوفر أمام عبدا لرحمان ابن خلدون، و لو كانت مناهج العلوم الطبيعية في وقته قد تطورت لما هو عليه الحال اليوم ربما لكان تصوره لعلم العمران البشري مختلفا ربما، ليس فقط على صعيد المنهج و لكن على صعيد الإطار العام الذي يشتغل ضمنه.

لقد كانت لثقافة الإسلامية مؤطرة لتصور عبد الرحمان ابن خلدون حول نظرية المعرفة بحيث جعل للوجود مراتب يهيمن عليها العلم الإلهي . ومن دون شك علم الاجتماع الغربي لم يعد معنيا بهذا التقسيم ، فلقد تشكل بعد أزمة الوعي الأوربي و معركته مع المعرفة اللاهوتية التي بدأت منذ عصر النهضة ، و اشتدت مع فلسفة عصر التنوير، و انتهت بانتصارها فلسفتها التي ستضع تصور علماني لغاية العلم و لفهمه لطبيعة.

على العموم منذ أن قدم عبد الرحمان ان خلدون مشروعه التأسيسي لعلم الاجتماعي الإنساني لم تظهر ضمن العالم العربي أي محاولة أخرى مشابهة ، بصيغة أخرى لم تظهر أي محاولة أخرى لفهم قضايا مجتمعات هذا الفضاء خارج الأطر التقليدية ، و ظل الأمر كذل إلى غاية القرن العشرين تاريخ دخول علم الاجتماع الغربي الذي يعتبر عصارة تاريخ المجتمعات الغربية و هو من دون شك تاريخ مختلف عن تاريخ ، المجتمعات لعربية لهذا السبب سيعود علم الاجتماع بثوب جديد مختلف جذريا عما تصوره عبد الرحمان ابن خلدون